كتاب وطني الإمارات WATANI BOOK
الطبعة الأولى

السَّـنَـعْ فـي الإمــارات
هوية وطنية وقيم أصيلة

إعداد:
د. سالم حميد

السَّـنَعْ فـي الإمـارات

هوية وطنية وقيم أصيلة

إعداد:
د. سالم حميد

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة وطني الإمارات
الطبعة الأولى

الناشر
مؤسسة وطني الإمارات
WATANI AL EMARAT FOUNDATION

لا يحق نسخ أو إعادة طبع محتوى هذا الإصدار إلكترونيا أو ضوئيا دونما إذن خطي من الناشر

الترقيم الدولي
ISBN: 978-9948-10-323-3

دبي- الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 102515 ، هاتف : 97142999222 فاكس: 97142999299

الفهرس

تمهيد 4

مقدمة 6

ما هو السنع؟ 8

الشيخ زايد والحفاظ على قيم السنع 9

المبادئ العامة للسنع 12

السنع ومقومات المجتمع الإماراتي 15

أنواع السنع ومظاهره في المواقف المختلفة 19

المجلس الشعبي 20

أنواع المجالس الشعبية في الإمارات 21

سنع الزيارات وأصول الضيافة 22

«الموايهه بالخشوم» تحية الإماراتيين 23

من قواعد الضيافة 24

من آداب المجالس في الإمارات 25

سنع الحديث في المجالس 29

السنع في تقديم الطعام والجلوس لتناوله 30

أهمية ورمزية القهوة العربية في الإمارات 32

أصول تقديم القهوة للضيوف 33

مجالات اجتماعية أخرى للسنع 34
سنع التعامل مع الوالدين 34
زيارة الأرحام والجيران 36
مكانة المرأة الإماراتية في السنع 37
السنع والأبناء الصغار 38
السنع وحفلات الزواج 39
السنع وكبار السن 40
زيارة المريض 41
حضور الجنازات والتعزية 42
مجموعة من الأمثال الشعبية الإماراتية 43
المصادر والمراجع 44

تمهيد

يتميز المجتمع الإماراتي بمخزون تراثي غني ومعبر عن هوية وطنية لها تجليات ومظاهر عديدة، مثل الزي الشعبي واللهجة المحلية والشعر والأمثال والحكم والعادات والتقاليد بشكل عام. وفي قاموس التراث المحلي الإماراتي نجد مفردة «السنع»، التي تشير إلى منظومة السلوك العام الذي يتصف بالطبيعة الأخلاقية الراقية. وهو السلوك الواجب على أفراد المجتمع في الإمارات اتباعه والقيام به في المواقف والمناسبات المختلفة.

وتختزل لفظة السنع الكثير من أصول التعامل مع طقوس الضيافة وأساليب التعامل الرجولي الصادق مع الجيران والأهل والمجتمع. وتعتبر قيم السنع من مكونات الموروث الذي رسم شخصية الإنسان الإماراتي وحدد ملامح الهوية العامة وأساليب التواصل وبناء العلاقات الاجتماعية، وكيفية التعامل مع الآخرين.

وعندما نتأمل التطبيق العملي لهذه القيم في الحياة اليومية، نكتشف البعد الحضاري في الشخصية الإماراتية. لأن قيم وأصول السنع تتضمن الكثير من معاني الرجولة والشهامة والكرم والتراحم والعطف ونجدة المحتاج.

ولم يترك الآباء والأجداد أي موقف من دون أن تكون له أصول وعادات حضارية متميزة يستحسن اتباعها. ويمكن إجمالها بالسلوك الحميد الذي يمثل القيم المتصلة بالترابط الإجتماعي والتواصل الإنساني الذي يحمل أبعاداً أخلاقية ابتكرها المجتمع لنفسه منذ القدم، وتكمن أهميتها ودلالاتها الحضارية في كونها التزاماً ضمنياً تعاقد عليه المجتمع من دون أي إجبار قانوني كما هو الحال في المجتمعات الأخرى المعاصرة.

وإذا كانت الشعوب والدول الحديثة تلجأ لسن القوانين لتنظيم العلاقات بين البشر ووضع حدود ومعايير لما يسمى بـ «الاتيكيت» والاحترام في ما بينهم، فإن الإنسان الإماراتي يتمتع على مر تاريخه بمنظومة أخلاقية فطرية، تعززت بالتدين المتسامح وحب الآخر والعطف على الصغير والرأفة بالكبير والتقيد بآداب خاصة في المجالس، إلى جانب تقدير المرأة وإعلاء شأنها ودورها في المجتمع.

كما أن للسنع دلالات عديدة تعكس الخصائص التي يمتاز بها مجتمع الإمارات، ومنها التطوع والمشاركة الإيجابية والحفاظ على نواة الأسرة الإماراتية وموروثها العريق من القيم. ويتصف المجتمع في دولة الإمارات العربية المتحدة بهويته المستقلة وعاداته وتقاليده الراسخة، وعلى رأسها عادات السنع التي تعد من أبرز عناصر الهوية الوطنية الأصيلة.

وفي هذا الإصدار نقدم إضاءة موجزة للتعريف بأهم عادات السنع المتبعة في الإمارات، ونهدف إلى توعية الأجيال الجديدة للحفاظ على قيم السنع والالتزام بها ونشرها والاعتزاز بما تمثله من خصوصية إماراتية تبعث على الفخر.

د. سالم حميد

مقدمة

تكتسب عناصر الهوية الوطنية المحلية ومكوناتها أهمية خاصة لدى الدارسين والباحثين في أي بلد، ونتيجة لتفكك القيم في المجتمعات المعاصرة وبروز الفردية وتجاهل العلاقات الإنسانية وتقاليدها، أصبحت العودة إلى الموروث مجالاً للدراسات الأنثروبولوجية، بينما لا يزال مجتمع الإمارات يتصف بالتماسك والتآزر وإحياء التقاليد وطقوس الضيافة والالتزام بالآداب الرفيعة التي ترسخت بالتوارث والتواصل بين الأجيال المتعاقبة.

وتحرص كل الدول على جعل محور الهوية وخصوصياتها وملامحها من ضمن الاهتمامات الأساسية للحقول الثقافية والإعلامية. وكل مجتمع يفتخر بالملامح التي تميزه وتظهر شخصيته الجماعية المتفردة، ونحن في دولة الإمارات العربية المتحدة نفخر بتماسك الهوية الوطنية واستمرار العادات والتقاليد المتصلة بالتقدير المتبادل بين الأفراد والجماعات، وهذه هي قيم «السنع» التي تميز المواطن الإماراتي وتخلق بين صفوف المواطنين انسجاماً واتصالاً روحياً يعبر عن النسيج الواحد، من خلال منظومة سلوكيات تجسد وحدة مجتمعنا وترابطه وتآزره، واشتراكه في قيم أصيلة تمثل رمزاً لوحدته وهويته الوطنية.

ورغم التطور الذي شهدته المفاهيم المتعلقة بالهوية في هذا العصر الذي اكتسحته العولمة والتعددية الثقافية، إلا أن المجتمعات الأصيلة ذات الطبيعة المحلية المتجذرة والمتوحدة تتباهى بخصوصياتها وملامحها المشتركة.

وهناك العديد من الصفات والعادات ذات العمق النفسي التي توحد بين الإماراتيين وتعزز تمسكهم بهويتهم، ولم تتعارض طموحات التحديث والتطوير على كافة المستويات مع الحفاظ على تلك القيم والقواسم الثقافية والاجتماعية المشتركة، وهذه نعمة تفتقدها الكثير من المجتمعات التي تعرضت للمسخ والتشوه الذي طال النسيج المجتمعي لسكانها، بينما نفخر في الإمارات بكوننا أسرة واحدة، تجمعنا روابط وتقاليد متوارثة، إلى درجة أن الصغير والكبير يرون أن من العيب تجاهل أساليب التخاطب وأصول الإصغاء للحديث وإكرام الضيف واحترام الأكبر سناً والرأفة بالصغار وتقدير دور المرأة والأسرة في المجتمع، بالإضافة إلى ما تلعبه

المناسبات بمختلف أنواعها من تحقيق المزيد من التواصل والترابط والمشاركة الجماعية التي تمنح الأفراد الشعور بالدفء الأسري والتكاتف.

وبهدف الحفاظ على هذا الكنز الغني من عوامل وحدة الإماراتيين وعاداتهم الأصيلة، نقدم في هذا الكتيب لمحة مختصرة عن «السنع» في الإمارات، وأنواعه وطقوسه المتوارثة، وخطوطه العامة الأساسية التي لا غنى لأي شخص إماراتي عن معرفتها، لكي يظل جزءاً من مجتمعه ووطنه.

ما هو السنع؟

السنع هو مجمل الأقوال والأفعال التي من الواجب الالتزام بها في المواقف الاجتماعية اليومية أو المناسبات أو الزيارات أو حضور المجالس. بمعنى أن هذه الكملة تشير إلى الآداب والأخلاقيات والتصرفات الحميدة المتصلة بالسلوك العام في التعامل والتصرف المناسب أثناء مواجهة الآخرين، ابتداء بأسلوب المصافحة وتقديم القهوة والطعام، وما يتعلق بكل ما سبق من آداب متعارف عليها.

وتمثل مجموعة هذه القواعد المتوارثة أساساً للعادات والتقاليد التي اعتادها أفراد المجتمع في الإمارات والتي يستخدمونها في تعاملهم اليومي وعلاقاتهم الإنسانية، ويتوارثونها جيلاً بعد جيل. ونظراً لكون الإنسان يتعلم منذ نعومة أظفاره آداب السلوك التي اعتاد الإماراتيون على ممارستها خلال فترات حياتهم السابقة، وأصبحت جزءاً من هويتهم وخصوصيتهم، فقد قامت حملات توعية وورش عمل بهدف إحياء تقاليد السنع والتأكيد على أهميتها وعلاقتها بالهوية الإماراتية.

وأهم وسيلة لتناقل هذه العادات هي اصطحاب الآباء لأبنائهم إلى المجالس والمناسبات المختلفة، بهدف نقل هذه التقاليد وأصولها عبر الممارسة والمشاهدة وترجمتها إلى سلوك في حياة الأبناء.

الشيخ زايد والحفاظ على قيم السنع

تعتبر شخصية الأب القائد الشيخ زايد رحمه الله محورية في ذاكرة الإماراتيين على مستوى الحاضر والمستقبل، لأن الشيخ زايد بالإضافة إلى تأسيسه للدولة الاتحادية وتدشين النهضة والتنمية، كان رحمه الله أنموذجاً للقائد الأصيل القريب من شعبه ومجتمعه، وأول من يحافظ على تقاليد السنع المتوارث بكل أشكاله، حيث أسهم التراث في تكوين شخصية زايد وفي صياغة وجدانه، وإرساء المرتكزات والخلفيات الحضارية لإنجازاته السياسية ومشروعاته المجتمعية؛ فقد تخرج في مدرسة التراث، وتتلمذ على قيم البادية وأعرافها ومعارفها.

ومنذ أن كان الشيخ زايد ممثلاً للحاكم في مدينة العين، برز تمسكه بقيم السنع وأصول التعامل مع العشائر. فكان صوته مسموعاً بين القبائل وله مصداقية كبيرة، نظراً لقيامه بحل الخلافات وتحقيق الاندماج الوطني بين الناس وفقاً لقيم السنع وأصوله المتوارثة.

وبحسب أحد المؤرخين، بقدر ما أسهم التراث في تكوين ملامح شخصية الشيخ زايد، أسهم هو في تشكيل التراث الخليجي والعربي والإسلامي بعامة، وفي صياغة الشعر النبطي الذي يعد أحد فرسانه، وتحويل قيم التراث إلى مشروعات وإنجازات عظيمة، واستلهم معانيه عند صياغة خطه السياسي ومشروعه الحضاري الإنساني، الذي سعى من خلاله لتحقيق العدالة الاجتماعية، واستهدف من خلاله إسعاد الإماراتيين.

كتب الكثيرون عن شخصية الشيخ زايد طيب الله ثراه، بما في ذلك عن علاقته بالموروث المكون للهوية الوطنية الإماراتية، وعلى رأس مكونات الموروث تقاليد السنع ومختلف العادات التي تمثل أنماط السلوك المجتمعي المتوارث الذي يحظى بمعيار الالتزام والانقياد، وهو سلوك يتوقعه المجتمع من جميع أفراده ويحرص عليه، وغالباً ما يعاقب من يخرج عنه بالتأنيب والتوبيخ والعزل، وغيره من العقوبات والجزاء الاجتماعي.

والتقاليد أقرب في الدلالة والمضمون إلى العادات وكثيراً ما يستخدم مصطلح «التقاليد» مرادفاً لمصطلح «العادات» رغم أن العادات أكثر حيوية و«دينامية». وتنبثق من العادات والتقاليد مجموعة من القيم والأعراف التي تمثل ممارسات وسلوكيات

تعارف عليها أفراد المجتمع في تعاملهم عبر الأجيال. أما المعارف الشعبية فهي خبرات متوارثة أثبتت جدواها في تجارب الآباء والأجداد، فتم توظيفها بصورة عملية فأسدت خدمات جليلة إلى أفراد المجتمع وحرص عليها أبناؤهم وأحفادهم من بعدهم، وتشابكت كل هذه الموضوعات رغم اختلاف المسميات وتداخلت، لذلك تعارف علماء الدراسات الفولكلورية على تناولها كمجال واحد ضمن المجالات المختلفة للتراث الشعبي.

وقد أشار بعض المهتمين بسيرة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى مدى التزامه بعادات وتقاليد وأعراف أهله ومجتمعه، ولا سيما العادات والأعراف والمعارف البدوية الأصيلة، حيث التزم بها قولاً وفعلاً في سلوكه وطريقة حكمه وأسلوب قيادته للمجتمع، وحرص على غرسها في نفوس الشباب واستمرارها، وتجلى ذلك في اهتمامه بالبيئة الطبيعية والاجتماعية التي نشأت تلك العادات في كنفها، ليس فقط في الاهتمام بإنسان تلك البيئة وبتراثه الحضاري، بل ويمتد فيشمل رعاية حيوانها وحمايته.

لقد ترجم الشيخ زايد (رحمه الله) اهتمامه بالتراث والقيم والتقاليد إلى مؤسسات نشيطة ومؤثرة، تسعى إلى صون الثقافة الوطنية وتعزيز السلوك الأصيل، بدعم وتشجيع زواج المواطنين بالمواطنات، وبالحرص على التنشئة الاجتماعية السليمة بتأمين العدل الإجتماعي وكفالة الأيتام ورعاية العجزة والأرامل.

وإذا كانت تلك الإنجازات تتصل بالهم الأكبر في الصعيد العام؛ فقد التزم الشيخ زايد بن سلطان بالقيم الدينية والاجتماعية في حياته الخاصة، وتمسك بمبادئ الإسلام وقيم البداوة وتوخي الصدق والبساطة والأصالة في مظهره وفي أقواله وأفعاله، فهو لم يتأثر بالقيم الغربية ولا بأشكال السلوك الأوروبي المنافي للأصالة العربية والروح الإسلامية، فلم يعرف عنه قط ارتداء الزي الأوروبي، وكل ذلك في غير تعصب أو تحجر، فأخذ عن الغرب ما يفيد أهله ودولته من علوم ومعارف وابتكارات تقنية حديثة.

أنار التراث طريق الشيخ زايد في الحياة، ووجهت العادات والتقاليد والقيم الموروثة عن الآباء والأجداد سلوكه في كل زمان ومكان، ومن شدة حرصه على مآثر الآباء والأجداد والتذكير بسيرتهم ومآثرهم كان يردد دائماً المثل الشعبي: «لي ماله أول ماله آخر»، ويرد هذا المثل أحياناً عل لسانه بصيغة أخرى: «من لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل» وكأنه بعث في هذا المثل روحاً جديدةً، فكثيراً ما نسمعه في

مجتمع الإمارات في مختلف المناسبات، وغالباً ما يرتبط ذكره بسيرة الشيخ زايد رحمه الله، ورغم أن الأمثال تندرج في إطار الأدب الشعبي، إلا أن أهمية الالتفات لها ضمن العادات والتقاليد والمعارف الشعبية تأتي من كونها تشكل موجهات هامة للسلوك الاجتماعي المتسق مع قيم التراث وأعراف الجماعة.

لقد استوعب الشيخ زايد ضمن تعليمه التقليدي أعراف البادية وقيمها التي تكتسب جانباً روحياً ومعنوياً ينأى بالإنسان عن الجوانب المادية، فيسيطر على سلوكه الجانب الإنساني، وتتمثل هذه الأعراف في مبادئ الشرف والنخوة البدوية وأخلاق الفروسية..

المبادئ العامة للسنع

تحتكم العادات والتقاليد والسلوكيات الحميدة في المجتمع الإماراتي لمبادئ وقواعد عامة، بمعنى أن الهدف من الالتزام بأصول السنع وتقاليده ليس مجرد مظاهر خالية من المضمون، بل إن مجمل آدب السنع تحقق غايات أخلاقية وإنسانية، تشمل الكرم وحسن التعامل وتقدير كل فرد في المجتمع للآخر، وبالتالي الوصول إلى مستوى من الرضا الجماعي والسلام والتسامح، ويمكن اعتبار مبادئ السنع أساساً لكل تصرف إيجابي، كما أن هذه المبادئ تمثل الدوافع التي تحكم سلوك الفرد في المواقف المختلفة.

ومن المبادئ العامة للسنع:

1. الكرم وحسن الضيافة

ونقصد بالكرم تجلياته بالمعنى الواسع، الذي يشمل الإيثار والترحيب الصادق بالضيف، وحسن استقباله، وتكريمه وإشعاره بمكانته لدى المضيف. وتتمحور أغلب أصول السنع حول هذا الجانب، نظراً للتراكم التاريخي في حياة المجتمع الإماراتي، الذي عايش مختلف الظروف، بما فيها مرحلة العيش في البادية في أزمنة كان فيها التنقل بين أجزاء الإمارات الشاسعة يتطلب الكثير من الجهد، وبالتالي تبادل الاستضافة وتفعيل صفات الكرم العربي، الذي تتنافس فيه القبائل على إظهار الاحترام للضيف وتقديم الغالي والنفيس في سبيل راحته وإشعاره بالمودة.

2. أدب التخاطب والرد المناسب لكل موقف

وفي هذا المجال تحمل الفصاحة الشعبية الكثير من العبارات الموجزة والملائمة لكل ظرف وموقف. ومن الرجولة والشهامة أن تتم معاملة الآخرين بلطف، واستخدام التعابير المناسبة لكل ظرف، عملاً بالتقليد السائد الذي تقتضيه مذاهب السنع وآدابه، ويجري الحكم على مدى ارتباط الفرد بمجتمعه ومحافظته على عاداته من خلال معرفته بأصول التخاطب والتعبير بتلك الجمل والمفردات التي تستخدم في المواقف والمناسبات التي لابد أن تقال فيها، وسوف نعرض في الصفحات اللاحقة قائمة بأمثلة متعددة للأقوال والجمُل التي تقال في مواقف مختلفة.

3. المروءة والشهامة

المروءة والشهامة من قواعد سلوك السنع، وهي مرتبطة بالكرم و»الفزعة» واحترام المرأة وغيرها من آداب السنع.

4. الترابط الأسري وزيارة الأرحام ونصرة الضعيف

من أهم آداب وعادات السنع تكريس الترابط الاجتماعي الشامل، ابتداء بالروابط العائلية التي تتطلب طاعة الوالدين والرفق بهما، وزيارة الأرحام وعيادة المرضى، وتفقد حاجات المقربين من كبار السن والأيتام الصغار والأرامل.

5. التطوع ونجدة المحتاج «الفزعة»

يعتبر المجتمع الإماراتي بطبعه وجذوره وأنشطته الاقتصادية القديمة قائماً على حب التعاون والمبادرة والتطوع لمساعدة الآخرين، وتعتبر نجدة المحتاج أو المتضرر من كارثة طبيعية أو حادث أصلاً من أصول السنع، ويوجد للمعنى المعاصر للتطوع جذور في مجتمع الإمارات تحت اسم «الفزعة»، فكل من يتعرض لكارثة أو لديه عمل يتطلب تعاون المجتمع، يهب الناس من تلقاء أنفسهم لنجدته والتعاون معه، بما في ذلك مشاركته في المناسبات الكبيرة والطارئة التي يستقبل فيها عدداً كبيراً من الضيوف، مثل حفلات الأعراس أو مجالس العزاء، وغيرها من المواقف.

6. المعاملة الطيبة والذوق الرفيع

قارنت الكثير من التناولات الإعلامية التي تطرقت إلى مفهوم السنع بين آدابه وبين ما يسمى في العصر الحديث بفن «الأتيكيت». وثبت أن الإماراتيين يمتلكون في مخزون عاداتهم وتقاليدهم أبرز أصول فن التعامل الطيب والذوق الرفيع، وذلك بشكل فطري متعارف عليه ويتم الالتزام به بالتوارث، ومن مبادئ السنع، المعاملة الطيبة والذوق الرفيع في العلاقات الاجتماعية كافة.

7. التسامح واحترام الآخرين

في الوقت الذي تبذل فيه المجتمعات الأخرى جهوداً كبيرة لإلغاء العنصرية ونشر التعايش، نجد أن هذه الصفات الحميدة جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة الإماراتية، فالتسامح واحترام الآخرين من قيم وتقاليد السنع العريقة، لذلك لم يجد المجتمع الإماراتي أي إشكالية نفسية عندما اقتضت التطورات الاقتصادية في بلادنا استقبال عشرات الجنسيات والأعراق المختلفة للعمل في الدولة، ويبقى التعايش والتسامح في الإمارات مدهشاً بالنسبة للآخرين، لكنه سلوك فطري إماراتي تنبع جذوره من الروح التراثية ومن التدين الفطري المنفتح والمستنير.

8. تقدير المهن والعمل اليدوي

يندرج تقدير المهن والعمل اليدوي وأصحاب الحرف ضمن قيم السنع في الإمارات، فكل صاحب مهنة لا يجد حرجاً في المجتمع أثناء ممارسته لعمله، لأن الإماراتيين يقدرون الجهد ويتعاطفون مع من يعمل بشرف لتحصيل الرزق الحلال.

9. الإخلاص والأمانة والصدق

تتجلى هذه القيم في محبة الإماراتي لوطنه واندفاعه الصادق للذود عنه بشجاعة، كما أن الأمانة والصدق والإخلاص من الصفات التي تتخلل العلاقة مع الآخرين وأثناء الحديث معهم بمودة من دون تجريح أو خداع.

السنع ومقومات المجتمع الإماراتي

ذكرنا في ما سبق المبادئ العامة لأخلاقيات السنع والقيم الموجهة لسلوك المجتمع وعلاقتها بمنظومة عادات السنع وتقاليده، لكن تلك المبادئ لم توجد من فراغ، وإنما تمثل تجسيداً لخطوط عريضة أكثر شمولاً، وهي مقومات المجتمع الإماراتي وعناصر تكوينه الثقافي والروحي والبيئي، المتعلق بوحدة التراب الوطني الإماراتي.

إن مجتمع الإمارات بما يحمله من قيم ومبادئ عريقة ومتوارثة مستمدة من الشريعة السمحاء؛ هو مجتمع مترابط أسرياً، يعطف على الصغير ويحترم الكبير، ويعطي الإنسان عزته وكرامته بغض النظر عن جنسيته. ويتميز عموم الإماراتيين بالحفاوة العربية التقليدية والبساطة؛ فأغلبية الإماراتيين يبتعدون عن أجواء التكلف أو الرهبة، ويأنفون الكراهية والحقد، ويحترمون الجميع ويتسامحون معهم بغض النظر عن أصولهم وأديانهم، والإماراتيون حساسون ولديهم عاطفة، لكنها ممزوجة بالنخوة والمروءة تجاه الآخرين؛ فالإماراتيون قدموا من ثلاث بيئات هي الصحراوية والساحلية والجبلية، ليشكلوا معاً ملامح المواطن الإماراتي وسلوكه الفطري الذي يستند على المنطق القوي والفكر المنظم.

يحب المواطن الإماراتي تكوين الصداقات ويثق بها ويمد يده للجميع بسلام مفعم بالود والترحاب، وما يميز المجتمع الإماراتي أيضاً هو انعدام الطبقية وسواسية الأفراد، مع تقدير الأكبر سناً ومقاماً، ومن له مكانة أبوية من الأعيان والشيوخ الذين يقومون بواجباتهم بتواضع، ويستقبلون عامة الناس في مجالسهم بمحبة واهتمام تمتزج فيه المشاعر الأبوية والأخوية الصادقة المتبادلة بين الطرفين.

ولكل مجتمع على وجه الأرض مقومات تتكون من عدة عناصر، منها الاجتماعية والتاريخية والسكانية التي تؤهله لمواكبة التطور الإنساني على مدى الأيام والسنين، والمجتمع الإماراتي أهلته مقوماته الطبيعية للاستمرار في هذه الحياة منذ ما قبل أربعة آلاف عام قبل الميلاد إلى يومنا هذا، ويحمل المجتمع الإماراتي الكثير من المفاهيم والقيم والروابط الاجتماعية المشتركة التي تدعو إلى المحبة والمساواة بين أفراده.

وفي ما يلي نبذة عن مقومات المجتمع الإماراتي المرتبطة بموضوع استمرار آداب السنع وتقاليده:

أولاً: وحدة الجغرافيا والبيئة العامة:

تشكل وحدة الجغرافيا والبيئة العامة في الإمارات عاملاً مهماً لوحدة المجتمع وثقافته وعاداته، كما يساهم التقارب الجغرافي بقوة في تماسك المجتمع بسبب سهولة اتصال واختلاط الإماراتيين وامتزاج علاقاتهم وأنشطتهم، الأمر الذي ميز مجتمع الإمارات بصلابة التجانس البشري، وبالتالي التوافق الضمني على قيم السنع واعتبارها من مرتكزات العلاقات اليومية في الإمارات.

ثانياً: وحدة تاريخ الإمارات وترابط السكان والتركيبة المجتمعية:

تشير أبرز المراجع التاريخية والمخطوطات وكتب الحوليات إلى وحدة تاريخ الإمارات وتمازجها واشتراكها في المصير والتأثر المشترك الذي كان يطال كل الإمارات عندما يتعرض جزء منها لأي عدوان خارجي.

وتتمثل وحدة سكان الإمارات والترابط الاجتماعي في ما بينهم بشكل أوضح في الترابط القبلي المتين الذي يوحد بين النسيج الاجتماعي للسكان، بل ويمتد حتى على مستوى الترابط العائلي وصلة القرابة بين الحكام وبعضهم من جهة، وبين الحكام وعائلات من عامة الشعب من جهة أخرى، بما لذلك من تأثير إيجابي على وحدة العادات والاشتراك في موروث محلي يعرفه ويلتزم به الجميع.

وفي شواهد الترابط الكثيرة بين الإماراتيين ما يفسر المزاج والذوق الاجتماعي العام لسكان الإمارات السبع الذي يحمل ذات الطبائع والانفعالات والهموم المشتركة ومعرفة أصول التعامل في ما بينهم.

ثالثاً: وحدة اللغة:

تمثل اللغة العربية أحد أعمدة الهوية التي توحد المجتمع الإماراتي، وهي اللغة التي يتواصل عبرها المجتمع وأبدع فيها الأجداد ولوّنوا بها أصنافاً مختلفة من ضروب الشعر والأدب، ولا يزال فن كتابة الشعر متغلغلاً في نفوس أفراد المجتمع الإماراتي، ولولا قوة ومتانة اللغة العربية وحضورها في الوجدان الإماراتي كجزء أصيل من هويته لما استمر هذا الموروث الشعبي الأصيل، كما أن الشعر الشعبي تناول عادات السنع وعمل الشعراء على تضمين مبادئ السنع في قصائدهم، والحال كذلك بالنسبة للأمثال والحكم الشعبية التي لا تخلو من الارتكاز على قيم السنع ومضامينه اليومية في المواقف والمناسبات.

رابعاً: الوحدة الدينية:

يعد الدين الإسلامي من أبرز مقومات المجتمع الإماراتي الذي جعلته الوحدة الدينية أكثر تمساكاً، كون الدين بشكل عام يعطي المجتمع طابعاً روحياً وتجانساً يساعد المجتمعات على التلاحم والانطلاق من هوية واحدة، نظراً لما يمثله الدين من أهمية في تشكيل العقل الجمعي وإكساب شخصية المجتمعات صبغة روحية تختزن طاقة كبرى في صياغة الهوية العامة وواحديتها، ولا يوجد أي تعارض بين مبادئ وعادات السنع وبين التدين، بل إن هناك تداخلاً بين أخلاقيات السنع والأخلاق الإسلامية القائمة على التسامح والصدق والتراحم.

خامساً: وحدة العادات والتقاليد:

يمتاز المجتمع الإماراتي بموروثات عريقة منذ القدم نابعة من العادات والتقاليد العربية الأصيلة، إذ نجد الكرم الفطري والصفاء الروحي سمة بارزة لشعب الإمارات، وقد ساهمت هذه القيم في تعزيز التجانس الاجتماعي، فتجد المجتمع يفرح في المناسبات الاجتماعية المختلفة كالأفراح والأعراس والأعياد مثلما يتعاطف أفراده في ما بينهم في الأحزان والمآتم، وتجمع قيم السنع عادات وتقاليد الإماراتيين في بوتقة السلوك الحميد والتصرفات الإيجابية القائمة على تقدير الضيف وإكرامه، وغيرها من مبادئ السنع التي تظهر بشكل أكبر في المناسبات واللقاءات الجماعية بين الإماراتيين.

سادساً: وحدة الحلي والزينة:

ويتجلى هذا الملمح بوضوح عند المرأة الإماراتية، فالزينة تحمل النقوش ذاتها.. والجديد دائما ما يتلقفه مجتمع الإمارات منذ القدم في وقت واحد وبذائقة موحدة.

سابعاً: زي الرجل:

توحد الزي الإماراتي للرجال والأطفال في أشكاله وألوانه وأغراضه وأوقات استخدامه طوال مراحل تاريخ الإمارات. ويعتبر الالتزام بالزي الشعبي أثناء حضور المناسبات أو أثناء استقبال الضيوف في المجالس من أساسيات السنع. ويرتدي الرجل الإماراتي «الكندورة» مع العقال والغترة والقحفية «الطاقية» أو العصابة «العصامة» التي تسمى أيضاً «سفرة» أو «حمدانية»، والعقال الأسود المصنوع من الصوف هو السائد في الإمارات بين الكبار. بينما يرتدي الصغار العصابة على الرأس.

ويعتبر الزي الإماراتي من عناصر الهوية الوطنية وتراث المجتمع الإماراتي، وليس هناك قانون يمنع غير الإماراتيين من ارتداء الزي الإماراتي، ولكن يفضل حسن الهندام وارتداء الزي بصورة صحيحة.

أنواع السنع ومظاهره في المواقف المختلفة

تتعدد أنواع السنع ومجالاته على قاعدة «لكل مقام مقال»، فلكل مناسبة أو موقف ما يلائمه من السلوك والتصرف والأقوال، وكل التقاليد المتعلقة بأصول السنع ليست قوانين مكتوبة، ولا توجد لها لوائح، وإنما هي أعراف يتم تناقلها والاعتياد عليها وحفظها بالممارسة في الأماكن والمواقف والأوقات التي تخص كل نوع من أنواع السنع.

ورغم أن السنع سلوك فطري متوارث وممارسة حياتية غير مكتوبة، إلا أن الأمثال الشعبية وبيوت الشعر التقليدي تزخر بالكثير من مضامين السنع وأصوله، وفي الأمثال الشعبية العديد من الأقوال والحكم التي تحث على الالتزام بقيم السنع، وتلمح إلى من يتجاهل الأصول بنوع من التعريض.

ونرصد في الصفحات التالية أنواع السنع والمواقف التي تستدعي عاداته وتقاليده.

المجلس الشعبي

مايـزال نسـبة كبيـرة مـن أفـراد المجتمـع الاماراتـي يحافظـون علـى المجلـس الشـعبي وهـو عبـارة عـن مـكان أو ملتقـى يجتمـع فيـه الأصدقـاء، فيتسـامرون فيـه ويتبادلـون الأحاديـث المختلفـة المعنيـة باهتماماتهـم، وغالبـاً مايكـون المجلـس الشـعبي فـي منـزل أحـد الأصدقـاء لكنـه يكـون منفصـلاً عـن مقـر سـكن الأسـرة، أو يكـون فـي الأسـاس مقـرّاً مسـتقلاً متكامـلاً أسسـه أحـد الأعيـان ليكـون مجلسـاً شـعبياً، يتوافـد إليـه مختلـف أفـراد المجتمـع فـي المناسـبات أو الجلسـات الأسـبوعية.

عـرف المجتمـع الإماراتـي المجلـس الشـعبي نقـلاً عـن حيـاة الآبـاء والأجـداد؛ فقـد كان للحاكـم مجلـس، ومجالـس أخـرى علـى مسـتوى الأعيـان، وأماكـن أخـرى شـبيهة بالمجالـس فـي الخلاء يطلـق عليهـا الحظيـرة.

ويعتبـر المجلـس الشـعبي محـوراً مكانيـاً لترجمـة وتطبيـق عـادات السـنع وقواعـده، وعلـى رأسـها الكـرم والحفـاوة بالضيـوف، وتقديـم القهـوة والطعـام وبخـور العـود، بالإضافـة إلـى تعميـق أواصـر العلاقـات الإنسـانية بيـن الأقـارب والجيـران.

ومـن أكثـر المواسـم التـي تنشـط فيهـا المجالـس «المجالـس الرمضانيـة» التـي لا تـزال تنشـط وبقـوة حتـى يومنـا هـذا بيـن جميـع أفـراد المجتمـع الإماراتـي.

وبصـورة عامـة فـإن المجلـس، أو «الميلـس» كمـا ينطـق فـي لهجـة الاماراتييـن، هـو أماكـن تجمـع النـاس وجلوسـهم التـي يتداولـون فيهـا مختلـف شـؤنوهم العاديـة أو مـا يعتـري حياتهـم مـن مسـتجدات وطـوارئ، كمـا يتداولـون فيهـا أخبـار بعضهـم مـن سـفر وإيـاب وتجـارة وصلـح وسـمر وتسـلية ومـرض وغيـره مـن مناسـبات، ولهـذه المجالـس تقاليدهـا وأعرافهـا، التـي لـم يكـن يسـمح بتجاوزهـا وخرقهـا، وهـو مـا يعتبـر مـن أهـم مـا يخـل بالسـنع وآدابـه فـي المجتمـع.

أنواع المجالس الشعبية في الإمارات

في كل منزل إماراتي مجلس مصغر، وهناك مجالس شعبية أخرى تختلف بحسب مساحتها وطبيعة وظيفتها ومن يقوم بالضيافة فيها، ومن أنواع المجالس في الإمارات:

- مجالس الحكام والشيوخ وكبار القوم من الأعيان والتجار.
- مجالس المواطنين وعامة الناس التي يلتقي بها أهل الحي.
- مجالس المناسبات والمواسم الدينية التي ترتبط بالمناسبات الاجتماعية مثل الأعراس ومراسيم العزاء أو طقوس الاجتماع في الأعياد وشهر رمضان.
- مجالس العائلات في المنازل الخاصة باستقبال أصحاب البيوت لزوارهم وضيوفهم، ويكون هذا النوع من المجالس جزءاً أصيلاً من تصميم المنزل الإماراتي.
- مجالس عامة لا علاقة لها بالمنازل، وهي التي يخصصها كبار القوم أو أحد الأعيان لعابري السبيل أو التجمعات العامة، ويبقى الإشراف على هذا النوع من المجالس مسؤولية من أوقفه، بحيث يتولى أمور الضيافة فيه وإكرام من يصلون إليه.

ومهما تعددت أنواع المجالس من خاصة إلى عامة، فهي كأماكن وطقوس تعكس عادات السنع الأصيلة، وفي مقدمتها إكرام الضيف، والتواصل الإجتماعي الحميم بين أفراد المجتمع والأهل والأصدقاء، وأهم مميزات هذه المجالس أنها تحافظ على الروح الشعبية العامة والهوية الوطنية، وتمثل عنصراً من عناصر تماسك الهوية والشعور الجماعي بالانتماء للوطن والعادات المشتركة.

سنع الزيارات وأصول الضيافة

تحضر عادات السنع بكثافة في مجالس الإماراتيين أثناء الزيارات والمناسبات، حيث تتجلى أصول الضيافة والكرم وتقاليد الأجداد الذين ولدت على أيديهم آداب السنع الإماراتي، والعنوان الأبرز لآداب السنع هو الكرم والضيافة التي تعتبر من العادات النبيلة التي لا يزال المجتمع الإماراتي يحتفظ بها، ويولي عناية خاصة بإكرام الضيف وحسن الاستقبال والتراحم بين جميع فئات المجتمع، وللزيارات أصناف مختلفة منها زيارة الأقارب والجيران والأصدقاء، وغالباً ما يحل الضيف في «مجلس الضيوف».

والمجلس عبارة عن مكان يستقبل فيه صاحب البيت ضيفه، وعادة ما يقدم للضيف الطعام والشراب، ويسمى «فوالة»، بالإضافة إلى القهوة العربية، أما الضيوف من النساء فعادة ما تستقبلهن صاحبة المنزل في صالة البيت أو في المجلس إن كان خالياً من الرجال؛ وربما يكون هناك مجلس آخر في المنزل مخصص للنساء فقط.

ويغلب على طقوس الضيافة في المجتمع الإماراتي طابع الترحاب، بغض النظر عمن هو الضيف، ولا تختلف عادات الزيارة لدى المجتمع اليوم كثيراً عن عادات الأمس.

ومن الأمور التي تحرص عليها الأسرة الإماراتية حرصاً شديداً، ضرورة أن يكون المنزل مرتباً ومبخّراً وفي أحلى مظهر، والحرص أيضاً على ارتداء الملابس الأنيقة والنظيفة عند استقبال الضيوف.

ومن الواجب عند الضيافة الحرص عند مفرش المائدة على عدم النهوض قبل الضيف؛ حيث يتعين انتظار الضيف أولاً ثم القيام خلفه حتى ولو لم يشبعوا بعد.

ومن العادات العربية المتأصلة في المنزل الإماراتي ضرورة نزع الحذاء أو النعال قبل دخول منزل المضيف، لذا يستحسن المبادرة بنزع الحذاء قبل دخول المنزل، احتراماً للمكان المراد الدخول إليه، فقد يجد صاحب المنزل حرجاً في طلب ذلك من الزائر.

«الموايهه بالخشوم»: تحية الإماراتيين

هذه هي تحية الإماراتيين، المواجهة بالخشوم «السلام يالأنف»، أي الالتقاء وجهاً لوجه والتلامس بطرفي الأنف، بحركة رشيقة وخفيفة وسريعة، فيها تبجيل واحترام مشترك، وتواصل بين الأجيال التي حافظت على تقاليد الآباء، وهي تحية تتمتع بالخصوصية الإماراتية، أي أنه طقس إماراتي من طقوس السنع، الأمر الذي يؤكد على تأصل العادات الجميلة في المجتمع الاماراتي، وقد يشعر زائر دولة الإمارات بالاستغراب من تحية الإماراتيين بعضهم بعضاً بهذه الكيفية، ولكن ما أجمل أن يكون لمجتمع كالمجتمع الإماراتي ميزة يختص بها تجعله مختلفاً عن بقية الشعوب.

«الموايهه بالخشوم» أو السلام بواسطة الأنوف؛ حيث يرحب الرجل بلقاء رجل آخر عبر تلامس أطراف الأنوف في حركة سريعة سهلة مرة أو مرتين أو ثلاثاً، تسبقها كلمات الترحيب مثل: «مرحبا الساع» وفي بعض الأحيان يقبل أحدهما أنف الآخر إن كان شيخاً أو أكبر منه سناً أو كان ذا منزلة أو وجاهة، وبعضهم يقبل جبينه إذا كان في منزلة الوالد كنوع من الاحترام والتقدير. وأثناء المواجهة بالخشوم يجب عدم مد اليد للمصافحة.

وعلى الرجل أن يحرص على عدم مد يده لمصافحة الفتاة أو السيدة الإماراتية مالم تبادر هي بمد يدها أولاً.

من عبارات السنع التي يتم تبادلها للتهنئة بالأعياد الدينية:

- الله يعوده علينا وعليكم كل سنة وكل حول
- عساك من العايدين السالمين
- عساك من عواده
- عيدك مبارك
- مباركِن عيدك

من قواعد الضيافة

قواعد الضيافة في الإمارات متعارف عليها، وأي وصف لها لابد أن يتشابه ويتسلسل وفق الخطوات المعروفة عند الإماراتيين عند استقبال ضيوفهم، ويتم استقبال الضيف الوافد إلى المجلس بعد الترحيب به والسلام عليه بالعود، ثم يتم تقديم القهوة، وبعد ذلك ينتقل الضيوف لتناول طعام الغداء أو العشاء، ويقوم المضيف أو صاحب المجلس بتقديم وليمة تليق بضيوفه، تقدم فيها الذبائح.

ومن الأمثال الشعبية التي تشير إلى هذا الموقف المثل الشعبي الذي يقول: «ما عقب القايمة لايمة» أي إذا قمت بإكرام ضيفك وقدمت له ذبيحته، لن يكون عليك بعدها أي لوم، لأنك قمت بما يتوجب عليك من واجبات الضيافة، وبعد تناول الوليمة يتم تقديم «الفوالة» أي الفواكه، ثم القهوة، ثم العود مرة أخرى قبل انصراف الضيوف.

من آداب المجالس في الإمارات

ذكرنا أن للمجالس أنواع، ولها كذلك آداب مشتركة، لذلك يعتبر حضور المجالس درساً للأبناء والشباب فهي بمثابة مدارس عملية لتعليم السنع، وبالذات مجالس الشيوخ وكبار القوم ومجالس المناسبات، وللتأكيد على أهمية المجالس في نشر قيم السنع وآدابه، يقول المثل الشعبي: «المجالس مدارس» لأن تلك المجالس تتميز بمستوى راق في التعامل والتفاعل والتقيد بأصول السنع.

ومن أصول السنع أثناء زيارة الحكام والشيوخ الكبار التالي:

قد يكون الحاكم في مجلس عام بالديوان، فإذا أذن للزائر بدخول المجلس فينبغي أن يدخل ويسلم سلاماً عاماً بصوت مسموع، وحينما يقوم الحاكم أو الشيخ لاستقباله يتجه نحوه ويبادره بالمصافحة التقليدية، وبعدها يتجه لمصافحة من هم على يمين الحاكم واحداً تلو الآخر حتى ينتهي منهم، ثم يسلم على من هم يسار الحاكم، وعندما ينتهي يجلس حيث ينتهي به المجلس.

وإذا كان هناك من هم أسبق منه في حضور المجلس فينبغي أن لا يتقدمهم في طرح موضوعه على الحاكم، بل يقدمهم على نفسه، وعندما يتم السماح له بالكلام فليختصر ولا يسترسل مراعاة لمصلحة الآخرين الذين ينتظرون دورهم..

• أقوال السنع أثناء التخاطب مع الشيوخ والحكام:

- السؤال عن الصحة: اشحالك طويل العمر
- إجابة النداء: آمر يا طويل العمر
- استجابة لنداء من شخص كبير المقام: يا عونك
- عبارة تقال أثناء الاستئذان لمغادرة مجلس رسمي لأحد الشيوخ: أترخّص يا طويل العمر
- وداع الوجهاء عند مغادرتهم بيت المضيف: لا تقطعونا طال عمرك
- استجابة لشخص عالي المقام: لبيك طال عمرك

وبصورة عامة لا غنى لصاحب المجلس المضيف، وكذلك الضيف، عن الآداب المعروفة بالمجالس، والتقيد بها على النحو التالي:

• عندما يتوجه الشخص للزيارة ويصل إلى باب منزل أو مجلس ووجده مفتوحاً، يصيح ليبلغ من في البيت بقدومه قائلاً: «هود». وعندما يسمع الرد عليه: «هدى» يمكنه الدخول، وتلك الكلمة إشارة إلى أنهم قد أذنوا له واستعدوا لاستقباله.

• من واجبات السنع إشعار من ننوي زيارتهم بقدومنا لكي يكونوا على استعداد ولكي لا تتعطل ترتيبات أو مشاغل كانوا ينوون القيام بها، ومن يعتذر ويطلب تأجيل الزيارة يلتمس له العذر.

• عندما يستقبل الداعي ضيوفه يكرم وفادتهم فيقف لهم مستقبلاً أمام باب المجلس.

• يرحب صاحب المجلس بضيوفه ويراعي مقام كل واحد منهم، والأولوية تكون للكبار في السن أو صاحب المقام الكبير بين الناس، ويقدم الواقف على اليمين.

• يبدأ السلام من اليمين إلى اليسار، ويكون السلام بالمصافحة باليد أو تلاقي طرفي الأنف «الخشم» أو قبلة على الرأس للوالدين ومن في مكانتهم.

• لا يجلس المضيف وسط المجلس، لأن هذا المكان يكون لكبير المقام أو السن.

• عندما يحضر إلى المجلس شخص كبير في السن، يتوجب على الأصغر سناً أن يفسحوا له في المجلس، وإن كان لا يستطيع الجلوس على الأرض يجلبون له كرسي، ويقابلونه بالاحترام.

• يقبل صاحب المجلس الحلف عليه ويثمن ما تسمى «الرفجة» أي الطلب الملح من الضيف.

• لا يجلس صاحب المجلس على مقعد أعلى من مقاعد ضيوفه، ولا يمر من أمام الجالسين بدون أن يعتذر، وكذلك لا يمر بين اثنين من ضيوفه وهم واقفين، وعليه أن يتجاوزهما من الخلف.

• لا يولي ظهره لأحد عندما يجلس.

• لا يرفع رجله في وجه أحد ولا يمدها أمام الجالسين في المجلس احتراما لهم.

• لا يجوز استقبال الضيوف بملابس النوم، ولابد من ارتداء الزي الشعبي المعتاد في الإمارات أثناء استقبال الضيوف.

• على صاحب المجلس أن يعتدل في جلسته مستنداً على ظهره احتراماً للضيوف.

• على الضيف أن يحترم صاحب الدعوة وأن لا يفتح موضوع الخصومة مع ضيف آخر، وعدم إثارة الخلافات تقديراً لصاحب المجلس وضيوفه.

• من قيم السنع وآدابه أن لا يطلب صاحب المجلس المضيف من أي ضيف أو أحداً يكبره في العمر أن يخدمه أو يناوله شيئاً، وإن اضطر لذلك أن يطلب من شخص ما شيئاً فعليه أن يسبق الطلب بقوله «ما عليك أمر». وإذا ما ناول أحداً شيئاً فيناوله بيمينه، وإذا تناوله باليسار سهواً يعتذر قائلاً: «اليسار ما تشناك».

يقدم صاحب المجلس القهوة حتى يكتمل المدعوون، ثم يدعوهم إلى الطعام. ويقدم المضيف لضيوفه في العادة العيش «الأرز» واللحم، من ذبائح تخير أحسنها، ولا يجلس حتى يجلس آخر ضيوفه، ولا يقوم حتى يقوم آخر الناس، فيقرب لهم المغاسل والطيب، ثم الفواكه ثم القهوة، ويحادثهم حتى لا يستعجلهم.

فإذا أحس بقرب انصرافهم قدم لهم العود والطيب، يقول المثل «ما بعد العود قعود»، ثم ينصرف معهم إلى الباب ليودعهم.

وبالنسبة لتبخير الضيوف بالعود فهو من الطقوس الأساسية للترحيب بالضيوف واختتام المجالس كذلك، حيث يدور أحد الأبناء الصغار أو شخص يتم تكليفه بالمرور على الضيوف واحداً تلو الآخر لتبخيرهم، وأحياناً يتناوب الضيوف تناقل بخور العود حتى آخر شخص.

• توديع الضيوف حتى باب المنزل من أصول السنع وواجباته المهمة، أما إذا كان الضيف شيخاً أو كبيراً في السن، من اللائق أن يتم توديعه إلى خارج باب المنزل.

• من عبارات الترحيب وأقوال السنع بين الضيف والمضيف: •

للترحيب بالضيوف:

- الله حيّهم
- مرحبا الساع
- يا هلا ويا مرحبا .. زارتنا البركة
- آنستنا وشرفتنا بالزيارة

شكر الضيف لصاحب البيت:

- أكرمكم الله وبيض الله ويوهكم
- أنعم الله عليكم. أو: بيت عامر إن شاء الله
- الرد على مدح الضيف للطعام: الله يهنيك. بالهنا والعافية
- يقول الضيف في ختام المائدة: جعلها الله نعمة دايمة وحفظها من الزوال
- يقول الضيف لصاحب البيت في ختام الزيارة: الله ينعم عليك ويكثر خيرك
- وفي ختام الوليمة يقول الضيف: دفع الله الشر والبلا عمن سعى فيه

سنع الحديث في المجالس

• يجب الحديث مع الضيوف بلهجتهم، وبتواضع وحفاظ على أصول الحديث، ودون استعارة كلمات غير معهودة مثل اللغات الأجنبية أو المفردات التي لا معنى لها.

• عدم الوقوع في النميمة أو الحديث عن الآخرين بسوء.

• يفضل دائماً مناداة الضيوف بالاسم أو الكنية، وتجنب مناداتهم بما يكرهون، يقول المثل الشعبي: «سم الريايل بأساميها عن تاكلك بأثاميها».

• من أصول السنع في المجالس أيضاً الحفاظ على أسرار الضيوف وما يبوحون به لصاحب المجلس.

السنع في تقديم الطعام والجلوس لتناوله

• من العادات والتقاليد الأصيلة الجلوس لتناول وجبات الطعام على موائد مفروشة بالنمط التقليدي على الأرض.

• يجب أن يتصف الجلوس عند تناول الطعام بالاعتدال وعدم تناول الطعام أثناء الوقوف.

• يكون الجلوس المعتاد لتناول الطعام بثني الرجل اليمنى وافتراش الرجل اليسرى والأكل باليد اليمنى.

• لا يتجاوز من يجلس على المائدة الطعام الذي أمامه، ويقدم الآخرين على نفسه من باب الإيثار.

• من أصول السنع والعادات عدم الذهاب إلى وليمة دون دعوة من صاحبها، وهناك مثل شعبي شهير في الإمارات يقول: «لي يي بليا داعي ييلس بليا فراش». والهدف من ذلك مراعاة صاحب الوليمة الذي خص أشخاصاً بعينهم بالدعوة، ومن يحضر بدون دعوة فإنه يكون في حكم المتطفل، وعليه أن لا يتفاجأ إذا لم تتم مراعاته، رغم أن الناس يتصفون بالكرم حتى مع من يأتي بدون دعوة، لكن من يحضر بدون دعوة يحرج نفسه ويقوم بسلوك يتنافى مع قواعد السنع المتعارف عليها في المجتمع.

- عند سؤال أهل المجلس للضيوف عن الأخبار تقال هذه العبارة: شو العلوم من صوبكم
- رد على سؤال أهل المجلس للضيوف عن الأخبار: ما هناك إلا علوم الخير والدنيا ساكنة
- دعاء من الضيف للمضيف: كثر الله خيركم
- عند وداع الضيف: لا تقطعنا من زيارتك
- تهنئة بتناول الطعام: مأكول العافية
- إذا دخل شخص على مجلس والناس في حالة تناول للطعام يقول: «هنهم»، ويردون عليه: وأنت منهم
- رد على كلمة آمر: ما يامر عليك عدو
- عبارة تعني أن التبخير بالعود إيذان بانتهاء الضيافة: ما بعد العود قعود
- طلب صاحب البيت من الضيف تكرار الزيارة كي يتمكن من القيام بواجب الضيافة: هذي الزيارة مب محسوبة ونبغي زيارة غير هذي وما نعذرك

أهمية ورمزية القهوة العربية في الإمارات

تعتبر القهوة رمزاً للضيافة عند أهل الإمارات وهي المشروب الذي لا غنى عن تقديمة للضيوف، ومن أشهر الأمثال الشعبية التي تشير إلى مكانة القهوة في الذائقة الجماعية يقول المثل: «فنيال قهوة الضحى أخير من ذلول». ويمكن القول أن تقديم القهوة إحدى أبرز أخلاقيات الأجداد النبيلة، وهي عنوان الكرم وحسن الضيافة، ولها مكانة عالية في البيت الإماراتي، ولا تخلو المجالس الرجالية والنسائية من «دلّة» القهوة، وتصنع من النحاس الأصفر. وتنقسم إلى ثلاثة أنواع تسمى على التوالي:

«الخمرة»، وهي الدلة الكبرى التي يعد فيها الماء.

«التلقيمة»، وهي الدلة الوسطى التي يجمع فيها الماء الساخن والقهوة والقناد من الهال والزعفران.

«المزلة»، وهي الدلة الصغرى التي يتم صب القهوة منها للضيف.

وقد ظهرت الدلة الحديثة الحافظة للحرارة، ومنها ما يستخدم للقهوة وما يستخدم للشاي.

ومما يدل على قوة ومكانة دلة القهوة في المجتمع الإماراتي اتخاذها رمزاً رسمياً؛ حيث تحمل قطعة الدرهم الإماراتي النقدية المعدنية نقش الدلة، وتتزين كثير من دوارات وشوارع مدن الإمارات بمجسمات كبيرة للدلة الإماراتية وفناجينها، وتتخذ بعض الشركات الوطنية من الدلة الإماراتية شعاراً لها، وتحرص كبرى الفنادق ومراكز التسوق في دولة الإمارات على توفير خيام تضم بداخلها دلة القهوة والفناجين كي تستقطب زوارها.

ولا ننسى كذلك أن القهوة العربية هي رمز الكرم والنخوة في كافة المجالس العربية عموماً، ولهذا السبب تم اتخاذ دلة القهوة شعاراً اجتماعياً.

أصول تقديم القهوة للضيوف

إلى جانب محتوى القهوة من البن المحمص والهيل والزعفران، ذكرنا أهم أدواتها وهي الدلة بأنواعها الثلاثة. وتبقى الفناجين التي تصب فيها القهوة، وتكون بحجم متوسط، ويجب أن تكون سليمة من دون عيوب أو كسور في حوافها، لأن من أصول الضيافة والكرم أن تقدم القهوة في فناجين غير مثلومة الحواف.

وتقدم القهوة للضيوف فور وصولهم وجلوسهم في المجلس، ويليها تقديم حبات من التمر، ثم يتم تقديم القهوة مرة أخرى وتكون آخر ما يتم تقديمه للضيف قبل تبخيره بالعود ومغادرته.

في البداية يجب على (المقهوي) أو المضيف أن يتذوق قهوته بنفسه لكي يختبرها قبل أن يصب لضيوفه، حيث لا يجب تقديم القهوة وهي باردة أو عكرة، إضافة إلى تفقد سلامة الفناجين من أن تكون مثلومة، لأن تقديم فنجان مثلوم فيه انتقاص من مقام الضيف.

ومن أصول السنع في موقف تقديم القهوة أن يتم حمل دلة القهوة باليد اليسرى، لكي يتم مناولة الضيوف فناجين القهوة باليد اليمنى.

ويبدأ الساقي المكلف بصب القهوة بتقديمها للشخص الأكبر مقاماً في المجلس أو الجالس في صدر المجلس، ثم يقوم بصب القهوة للجالسين على يمينه، إلى أن ينال كل من في المجلس ضيافتهم من القهوة.

وللقهوة آداب وأصول متبعة في كيفية تقديمها وشربها لدى المجتمع الإماراتي، فعلى سبيل المثال من المعيب احتساء أكثر من ثلاثة فناجين من القهوة بطريقة متتالية، ويتم ملء فنجان الضيف بقدر الثلث، ويجب على (المقهوي) الانتباه لمن انتهوا من شرب قهوتهم لكي يصب لهم مرة أخرى كلما أعادوا الفنجان، أما علامة الاكتفاء من شرب القهوة فتكون عبر هز الفنجان الفارغ يميناً وشمالاً مرات عدة بين الإبهام والسبابة، فإذا قام الضيف بهز الفنجان فمعنى ذلك انه اكتفى من القهوة.

ومن الأصول والسنع الحميد أن يعيد الضيف الفنجان إلى يد المقهوي وأن لا يضعه على الأرض.

مجالات اجتماعية أخرى للسنع

التلاحم والتآزر من الصفات التي تجمع وتوحد المجتمع الإماراتي وتعتبر من القواسم المشتركة التي تشكل مضمون الهوية الاجتماعية والوطنية للشعب الإماراتي منذ القدم، وكما سار الأجداد والآباء على تلك العادات الأصيلة، تستمر علاقات الترابط والتراحم بين الإماراتيين إلى يومنا هذا، سواء على مستوى الأسرة الواحدة أو على مستوى التجمعات الأهلية في الأحياء والمدن، حيث لا تخلو المناسبات والمواقف الاجتماعية من تكاتف معهود. وكل هذه الصفات تعبر بدقة عن مضامين وعادات السنع الأصيلة.

ومن بين أبرز العلاقات الاجتماعية الفطرية التي يتمسك بها الإماراتيون بما ينسجم مع تدينهم وكذلك مع تمسكهم بقيم السنع زيارة الأرحام والأهل.

سنع التعامل مع الوالدين

علاقة الأبناء بالوالدين علاقة وطيدة لها مكانة نفسية وعاطفية كبيرة، ورغم ملامح الحداثة التي يعيشها مجتمع الإمارات واستقلال الأبناء بمنازل خاصة، إلا أن التواصل والزيارات تستمر بشكل حميمي من قبل الأبناء تجاه الوالدين.

وبالنسبة لقيم السنع المتعلقة بالتواصل مع الوالدين والأهل والأرحام ومن كبار السن إجمالاً، من الواجب ما يلي:

- من الواجب طاعة الوالدين وتفقدهما بانتظام وليس في المناسبات فقط.
- الحرص على توفير الاحتياجات اللازمة للوالدين وتسهيل أمور الحياة المعيشية ونفقات الدواء والعناية بمسكنهما وراحتهما.
- خفض الصوت في حضور الوالدين احتراماً لهما.

• إظهار التقدير للوالدين والسلام عليهما بتقبيل الرأس واليد وإظهار المودة لهما، وتكون بداية السلام بالأم ثم الأب، والدعاء لهما بالصحة وطول العمر.

• يفضل اصطحاب الأحفاد لزيارة جديهما وتعليم الأبناء سنع زيارة الأرحام وما يتخللها من أصول السلام والحديث مع الكبار.

من عبارات السنع التي تقال في حضرة الوالدين للتودد إليهما وإظهار الطاعة والمحبة:

- دعاء للوالدين: الله يطول عَماركم
- ويقال أيضاً للوالدين: الله يواليكم الصحة والعافية
- ولتأكيد الطاعة والتقرب من الوالدين: إذا تامروني بشيء تراني في الشوفة
- نحن ما نسوى شي بلاكم
- انتو ظلة مظللة علينا
- الاعتذار للوالدين: السموحة ها المرة وإن شاء الله ما يصير خاطركم إلا طيب
- انتو الخير والبركة
- عند الاعتذار : أنا ماشي عليكم. أنا غلطان ومنكم السماح

زيارة الأرحام والجيران

ينبغي عدم الانقطاع عن زيارة وتفقد احتياجات الأهل والأرحام والتودد إليهم وعدم اقتصار ذلك على المناسبات الدينية، وزيارة الأرحام من الأقارب هي أولى للشخص، مثل الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأبنائهم والأصهار بعدهم في المرتبة، وكذلك مشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، مع إشراك الأبناء الصغار في الزيارة للتعرف على الأقارب والتعود على أصول الزيارات.

ومن السنع في الإمارات أن المجتمع يضع للجيران حقوقاً، ويهتم كل جار بجيرانه عبر التواصل الدائم في مسجد الحي، وعبر الزيارات المتبادلة وحضور المناسبات الاجتماعية والمشاركة في الاحتفالات بمناسبة الأعياد.

ومن أصول التعامل مع الجيران:

- إظهار الاحترام وغض البصر وتقدير حرمة الجوار.
- التعاون والتطوع ونجدة الجيران في وقت الحاجة عند حدوث خطر، أو أثناء العزاء والمناسبات التي تلزم تعاون الجيران ووقوفهم إلى جانب بعضهم البعض.

• من مفردات وأقوال السنع: •

- التهنئة بالحصول على شهادة علمية: ألف مبروك والفال لك بالحصول على الدكتوراه بإذن الله والله يوفقك لخدمة وطنك
- التهنئة بقدوم أحد الأقرباء من السفر: تستاهل اللوال، والحمد لله على سلامة فلان
- الرد على تهنئة بعودة أحد الأقارب من السفر: الله يأّول عليكم بخير
- عبارة للتهنئة بالنجاة من حادث: تستاهل السلامة .. إذا سلم العود الحال مردود
- الرد على عبارة تستاهل السلامة: الله يسلم غاليك... الله يسلمكم من الشر

مكانة المرأة الإماراتية في السنع

تراعي عادات السنع وقواعده المرأة منذ طفولتها، ولذلك تحظى المرأة الإماراتية بالتميز والاهتمام من قبل المجتمع ابتداء بالأسرة الصغيرة ثم أسرتها الكبيرة المتمثلة في المجتمع بشكل عام.

ومن الخصوصيات التي تتميز بها المرأة الإماراتية في السلوك العام للمجتمع:

- مساواتها مع الذكور في ما يتعلق بحقها في التعليم والتوظيف والمنح الخارجية.
- يستهجن المجتمع أن يمد الرجل يده على المرأة أو يعتدي عليها بالضرب لأن هذا التصرف ليس من المروءة.
- يتم أخذ إذن المرأة عند الزواج حسب التقاليد بحيث لا يتم إكراهها على الزواج.
- يتكفل الزوج بالإنفاق ويقوم بواجبه الأسري.
- تمنع التقاليد المتوارثة إفزاع المرأة أو اعتراض طريقها أو المس بعرضها وسمعتها.
- هناك حرمة بين الجيران وتقتضي الأصول الحفاظ على كرامة النساء وغض البصر.

- من عبارات التودد أثناء الرد على الزوجة: آمري الغالية
- وأثناء الاستجابة لطلب من الزوجة يقال: حاضر من العين
- ترد الزوجة قائلة: عساك عينك سالمة

السنع والأبناء الصغار

للأبناء نصيب من تقاليد وأعراف السنع في الإمارات، ومنها:

- قيام رب الأسرة بالطقس المعروف بذبح العقيقة عندما يرزق بمولود جديد، وتوزيع لحم الذبيحة أو دعوة الأقارب والجيران إلى وليمة يولمها بالمناسبة.
- الحرص على إرضاع المولود حولين كاملين، والطفل الذي لا تتمكن والدته من إكمال إرضاعه يقوم الأهل بما يعرف في الإمارات بتبخيت الطفل الذي لم يستكمل الرضاعة لحولين، وهو تخصيص ناقة أو شاه تكون باسمه هي وما ينتج عنها من نسل.
- يقوم والد الطفل باصطحاب ابنه في السن الملائم إلى المجالس، لكي يتعلم عادات وأصول مجتمعه وكيفية التخاطب برجولة مع الناس.
- يتعلم الطفل عادات الكرم والضيافة وخدمة الضيوف.

السنع وحفلات الزواج

في مناسبات حفلات الزواج يلبي الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء الدعوة لحضور الحفل، وكل من يتلقى دعوة خاصة يجب عليه الحضور والاستعداد لذلك بملابس لائقة، وعندما يكون العريس من أقارب المدعو فإنه يقوم بالتعاون معه والترحيب بالضيوف والمساعدة في ترتيب أصول الضيافة وإطعام الضيوف.

ومن التغيرات التي حدثت على طقوس الزواج في وقتنا الحاضر إقامة حفلات الزواج في القاعات المخصصة، ولكن ذلك لا ينفي استمرار تقاليد كثيرة تندرج ضمن السنع، بما في ذلك الالتزام بارتداء الزي الشعبي الخاص بالرجال في الإمارات، وتلبية الدعوة.

وينبغي على أهل العريس الوقوف أمام باب القاعة المخصص لحفل الزواج لاستقبال الضيوف والترحيب بهم.

وإذا حضر حفل العرس شيخ ذو وجاهة يجب على أهل العريس تخصيص مكان ملائم له في القاعة، وأثناء مغادرته يكون من الواجب على «المعرس» المشي مع الضيف الكبير والوقوف لتوديعه عند باب القاعة.

وأثناء تناول الضيوف لطعام العشاء في حفلة العرس، من واجب «المعرس» ومن يقرب له الوقوف لتلقي التهاني من الداخلين إلى قاعة الحفل، وكذلك الاهتمام بتوفير الطعام وما يلزم للضيوف، ثم توديع من يغادر من الضيوف وشكرهم لتلبية الدعوة.

• من عبارات السنع أثناء التهنئة بالزواج:

- بالبركة والله يجمع بينكم على خير
- مبروك ما دبرت .. منك المال ومنها العيال
- تهنئة بقدوم مولود جديد وبسلامة الزوجة: مبروك ما ياكم .. وتستاهل سلامة الأهل والله يجعله قرة عين لكم ويطرح فيه البركة
- الرد على التهنئة بقدوم مولود جديد: الله يبارك لنا ولكم
- الرد على المباركة بأي شيء جلب السعادة يقال: الله يبارك فيك ويسلمك.

السنع وكبار السن

للأتقتضي مبادئ وأصول وقيم السنع التي تربى عليها مجتمع الإمارات احترام وتوقير كبار السن ووضعهم أثناء التعامل معهم في منزلة الآباء، ومن واجبات السنع في هذا المجال: منح الأولوية لكبار السن في أمور عديدة، بما في ذلك تصدر المجالس أثناء تناول الطعام أو أثناء الاستقبال والدخول إلى المجالس، إلى جانب تفقد أحوالهم وتخصيص زيارات لهم وإعانتهم في شؤون الحياة اليومية.

- من عبارات التهنئة بأداء فريضة الحج يقال: بالبركة عليك الحج وتستاهل السلامة. أو: حج مبرور وسعي مشكور
- الرد على التهنئة بأداء مناسك الحج أو العمرة: الله يتقبل منا ومنكم
- تهنئة بالعودة من السفر: قدوم مبارك
- نقل سلام وتحية من شخص غائب: يرد عليك السلام فلان
- عندما يتم إبلاغ سلام شخص غائب يكون الرد: الله يسلمه ويسلم من ياب السلام
- عندما تقابل شخصاً في الطريق وتسأله عن أحوال أهله، يقال: «وشحال تواليك»
- عندما تود إرسال سلام مع شخص قابلته إلى أهله تقول له: «ردّ السلام»
- يقال لمن فاز أو نجح أو حصل على جائزة: «تستاهل الناموس»

زيارة المريض

تعتبر زيارة المريض من الواجبات المعهودة التي يفرضها التآخي والحرص على تمني الصحة للأقرباء والأصدقاء والجيران.

ومن أصول السنع عند القيام بواجب زيارة المريض في الإمارات اختيار الوقت الملائم وحمل هدية لائقة، ومن العبارات التي يقولها الزائر للمريض: «مأجور» و «أجر وعافية»، و «ما تشوف شر يابوفلان»، أو يقول له: «تستاهل السلامة» في حال كان المرض ناجم عن حادثة أو إصابة عرضية.

ويقال لقريب المريض: «تستاهل سلامة فلان». ثم يترك فرصة ويجعل زيارته خفيفة لكي يسمح للآخرين بالقيام بواجب الزيارة، وعدم الإثقال على المريض أو التسبب بضجيج.

• يقال للمريض أثناء زيارته:

- أجر وعافية
- الله يعافيك ويشافيك وتقوم بالسلامة
- ويرد المريض على زوراه قائلاً: الشر ما اييكم إن شاء الله
- عبارة تقال لطمأنة المريض والفرح بسلامته: طار الشر وأجر وعافية بإذن الله
- عند مواساة للمريض والتخفيف عنه يقال: مأجور وما تشوف شر إن شاء الله

حضور الجنازات والتعزية

يشارك الإماراتيون بعضهم بعضاً في السراء والضراء، وعند الملمات والأحزان بفقدان قريب أو صديق أو جار، يتقاطر المعزون للصلاة على الميت ودفنه وتعزية أهله، ومن اللائق أن يتكفل الأقارب والجيران بطعام الغداء أو العشاء لأسرة المتوفى ومن يحضر عندهم لمواساتهم وتعزيتهم.

ومما يقال في تعزية أهل المتوفى: «أحسن الله عزاكم»، و «عظم الله أجركم».

• من عبارات السنع أثناء تعزية أهل الميت:

- عظم الله أجركم والله يصبركم ويآجركم
- جبر الله خاطركم في فلان والله يغفر له ويرحمه ويغمد روحه الجنة
- عظم الله أجركم وغفر لميتكم
- يكون الرد على التعزية بالقول: الحمد لله على كل حال. و خلّاف الله
- يقال عند الانصراف من مجلس العزاء: الله يخلف عليكم بالصبر والإيمان
- ويقال أيضاً في الرد على التعزية: البقاء والدوام لله سبحانه
- ما يقوله أهل المتوفى لمن عزاهم عند انصراف المعزين: قرب الله خطاكم للجنة

مجموعة من الأمثال الشعبية الإماراتية

يزخر الموروث الشعبي الإماراتي بكنوز من التراث الشفهي، ومن بينها الأمثال المتوارثة، والتي لا تزال ترد على ألسنة كبار السن في الحياة اليومية، ومن بين الأمثال ما يلخص بتكثيف وذكاء بعض أصول السنع، سواء بالتلميح أو التصريح المباشر.

ونختم بسرد مجموعة من الأمثال الإماراتية التي تتضح معانيها من ألفاظها بسهولة:

- حط بيتك بين لبيوت وحط قبرك بين لقبور
- الخير يخيّر والشر يغيّر
- خذ كلام اللي يبكيك ولا تاخذ كلام اللي يسليك
- المذهب ذهب والمعاني حروف
- طبعك ضلعك
- قوم تعاونوا ما ذلوا
- كُل ما يعيبك (يعجبك) والبس ما يعيب (يعجب) الناس
- ما في عيد كرم ولا في حاضر مدح
- مد ريولك على قد لحافك
- من وعد وفى ومن صبر قدر
- الناس للناس والكل بالله
- لا تسرف لو من البحر تغرف
- لا تاخذ من الغريب عاده لأن الغريب راجع بلاده
- يا غريب كن أديب
- اللي ما يادبه ابوه يأدبه زمانه
- الباب اللي إييك منه الريح سده واستريح
- لي يكبر اللقمة يغص بها
- حل لسانك وكل الناس خلاّنك
- الصدق ناقة سمينة والكذب ناقة هزيلة

المصادر والمراجع:

1. ماذا تعرف عن دولة الإمارات العربية المتحدة، سالم حميد، مركز المزماة للدراسات والبحوث، 2012.

2. زايد والتراث، سيد حامد حريز، الأرشيف الوطني، أبوظبي، 2014.

3. السنع مفخرة السلوك الإماراتي الرفيع، علي محمد المطروشي، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، 2013.

4. السنع من مكارم الأخلاق، ماجد عبدالله بوشليبي، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، 2013.

تم بحمد الله

ISBN 978-9948-10-323-3

www.watani.ae @watani watanialemart @watani_ae